Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومهما تكن الصعوبات التي نلقاها في تطبيق هذا المقياس على الشعر ، فمن الممكن أن نرىٰ أن تطوّر نثر كلاسيكي إنما هو التطوّر باتجاه أسلوب مشترك . ولست أقصد بذلك أن أفضل الكتّاب لا يمكن تمييز أحدهم من الآخر . فالفروق الجوهرية والمميّزة تبقىٰ : وليس الأمر أنّ الفروق تغدو أقلّ ، بل أكثر صقلاً وتهذيباً . فالبالقياس إلى ذوق حساس يعتبر الفرق بين نثر أديسون ونثر سويفت مماثلاً في ظهوره للفرق بين خمرين معتّقتين عند ذوّاقة . وما نجده في عصر للنثر الكلاسيكي ليس مجرد تقليد مشترك للكتابة مثل الأسلوب المشترك للكتاب الرئيسيين في صحيفة وإنما هو مجتمع قائم على الاشتراك في الذوق . والعصر الذي يسبق عصراً كلاسيكيّاً يمكن أن يكشف عن كلّ من الشذوذ والرتابة : أما الرتابة فمردّها إلى أن ينابيع اللغة لم تكتشف بعد ، وأما الشذوذ فلأنه لا يوجد بعد معيار مقبول على نطاق عام ــ هذا إذا أمكن أن نعدَّ ذلك شذوذاً أو انحرافاً عن المركز[1] حيث لا يوجد مركز . ويمكن أن تكون الكتابات في ذلك العصر متّسِمة بالحذلقة والتجوُّز في الوقت ذاته . وكذلك يمكن أن يكشف العصر الذي يعقب عصراً كلاسيكياً عن شذوذ ورتابة ، فأما الرتابة فمردُّها إلى أن ينابيع اللغة في الوقت الراهن قد استهلكت ، وأما الشذوذ فلأنّ الأصالة تُعطى قيمةً أعلى من قيمة الصحّة . ولكن العصر الذي نجد فيه أسلوباً عاماً مشتركاً سيكون هو العصر الذي وصل إلى فترة من النظام والاستقرار والتوازن والانسجام ، كما أن العصر الذي تتجلّى فيه أشد ألوان التطرّف في الأسلوب الفردي سيكون عصر التخلف أو الشيخوخة .

ومن الطبيعي أن نتوقع أن يرافق نضج اللغة نضج الفكر والسلوك . ويمكننا أن نتوقع اقتراب اللغة من النضج عندما يتمتع الناس بحسّ نقدي للماضي وبثقة في الحاضر، ولا يكون فيهم شك واع في المستقبل. وهذا يعني في الأدب أن الشاعر يعي أسلافه ، وأننا نعي أسلافه من وراء عمله كما يمكن أن نعيَ سمات الأجداد في

---

(١) eccentricity